أثر الحذف في اتساق سورة هود

The Effect of Ellipsis on the Consistency of Sūrat Hūd

وسيلة بوخشبة
طالبة دكتوراه
boukhechba.wassila@gmail.com
إشراف : أ . د عبد القادر قصاصي
gsassi75@gmail.com
مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة أحمد دراية – أدرار
كلية الآداب واللغات بجامعة أحمد دراية – أدرار (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2018/12/13 تاريخ القبول:2019/01/25 تاريخ النشر: 2019/03/19

الملخص :

يقوم هذا المقال على محاولة الكشف عن جانب من جوانب الإعجاز اللغوي لإحدى سور القرآن الكريم ، وهي سورة هود ، وقد استند من أجل ذلك على النَّظرية اللسانية النَّصية بغية توضيح دور الرَّوابط النَّحوية في تحقيق الاتساق النَّصي ؛ حيث اختير منها أداة الحذف . وللوصول إلى الهدف المنشود تمَّ الاعتماد على المنهج الوصفي بأداتيه التَّحليل والإحصاء . وقد توصَّل الباحث إلى عدة نتائج يُذكر منها النَّتيجة المهمة التَّالية : إنَّ الحذف بأنواعه المتعددة يساهم بشكل فعال في تحقيق اتساق نص سورة هود .

الكلمات المفتاحية : حذف ؛ اتساق ؛ تماسك ؛ نص ؛ هود .

ABSTRACT : *The current article attempts to uncover a facet of the linguistic wonder in one of the holy Quran's surahs which is Sūrat Hūd. The study is based on the textual theory of the text in order to clarify the role of the grammatical links in textual consistency. In order to reach this goal, the descriptive approach was adopted by means of analysis and statistics. The researcher has reached several conclusions, including the following important result: The ellipsis of its multiple types contributes effectively to achieve the consistency of the text of Sūrat Hūd.*
Keywords : *Ellipsis ; Cohesion ; Coherence ; Text ; Sūrat Hūd .*

1. مقدمة :

إنَّ حاجة الإنسان للتعبير عن مكنوناته والوقائع المحيطة به ، تستوجب منه البحث عن سبل وطرق للتعبير عنها بعيداً عن الإطالة والملل ، ومن هذه الطرق نجد الحذف الذي يعتبر مجالًا للاختصار والاقتصاد في الكلام ، وهو يمثل ظاهرة لغوية عامة تشترك فيها جميع اللغات الإنسانية ؛ حيث يميل المتكلمون إلى حذف العناصر المكرَّرة في الكلام وما لا ينبغي ذكره ويفهم من خلال المقال أو المقام ، ولأهميته نجد كثيراً من الباحثين في التراث والحداثة قد اعتنوا به ، فبينوا حقيقته . ولكن طبيعة البحث تفرض طرح التَّساؤلات التَّالية : مادور هذه الظاهرة في اتساق الكلام ؟ وهل يمكن لشيء محذوف أن يربط بين الكلام ؟ ويكون له دور في تماسك النُّصوص ؟ .

وقد حاول الباحث الإجابة عن هذه التَّساؤلات من خلال العناصر التَّالية :

- مفهوم الحذف .
- أنواع الحذف .
- علاقة الحذف بالإحالة .
- علاقة الحذف بالاستبدال .

- كيفية تحقق الاتساق من خلال الحذف .
- بنية الحذف في سورة هود .

ويهدف هذا البحث إلى دراسة التَّرابط والتَّلاحم الذي ينسج النَّص القرآني في سورة هود عليه السَّلام ، وذلك من خلال أداة الحذف ، ولتحقيق هذا الهدف المراد كان لا بد من منهج تسير عليه الدراسة ، من أجل ذلك أُتُّبِعَ المنهج الوصفي بأداتيه التَّحليل والاحصاء ، فالوصف يمكِّن من تتبع الظَّاهرة اللغوية ورصد مختلف تداعياتها وشروطها ، ومن ثم تحليلها وعرضها على محك التَّجربة ، أما الإحصاء فهي طريقة تساعد على حصر أنواع الحذف في سورة هود عليه السَّلام .

2 . مفهوم الحذف :

الحذف في المعجم العربي هو القطع من الطرف خاصة ، والطرح والاسقاط ؛ حيث جاء في معجم لسان العرب ما نصّه : « حَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ حَذْفًا : قَطَعَه من طَرفه ... وقال الجوهري : حَذْفُ الشَّيء إسقاطه ، ومنه حَذَفْتُ من شَعري ... أي أخذت » . [1]

ويقابل مصطلح الحذف في المعجم الأجنبي لفظ " Ellipsis " الذي يترجم بالحذف [2] ، والاضمار [3] ، كما تستخدم كلمة " Gap " التي تعني الفجوة أو الفراغ كمرادف لهذا المصطلح .

أمَّا الجانب الاصطلاحي فقد ذكره كريستال Crystal في موسوعته ومعجمه تحت مصطلح " Ellipsis " وهو : « حذف جزء من الجملة الثانية ، ودلَّ عليه دليل في الجملة الأولى » [4] ، فكريستال هنا يؤكد على وجود دليل لقيام الحذف ؛ لأنَّ غياب الدَّليل سوف يؤدي إلى اختلال المعنى فالحذف لا يتم « إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة ، كافياً في أداء المعنى . وقد يحذف أحد العناصر ؛ لأنَّ هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه ، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره » . [5]

وما يستنتج من هذا القول هو أنَّ المحذوف من الكلام ، لو بقي ، فإنه يشكل خللا على مستوى النَّص ، قد يتمثل في حشو و زيادات لا فائدة منها خاصة إذا وجد في النَّص أو في محيطه من القرائن الحالية و المقالية ما يغني عنها . [6]

ويعد الحذف أحد العوامل الأساسية التي تحقق اتساق النَّص باعتباره يترك فراغاً في الخطاب يهتدي المتلقي إلى ملئه بالعودة إلى ما ورد في الجملة السَّابقة فهو يقوم على « استبعاد العبارات السَّطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات النَّاقصة ... وأطلق عليه تسمية الاكتفاء بالمبنى العدمي » [7] . والاكتفاء هنا دلالة على أنَّ الحذف لا يعد نقصان في النَّص ، وإنَّما يحقق الوحدة لهذا النَّص .

ويحدد هاليداي ورقية حسن الحذف بأنَّه : « علاقة داخل النَّص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النَّص السَّابق ، وهذا يعني أنَّ الحذف عادةً علاقة قبلية » [8] ، وهذا ما ذهب إليه نعمان بوقرة بقوله : « ويتحدد الحذف بأنَّه علاقة تتم داخل النَّص ، فمعظم أمثلته تبين أنَّ العنصر المحذوف موجود في النَّص السَّابق ، ممَّا يعني أنَّ الحذف ينشأ علاقة قبلية » [9] . وهذا التَّحديد يعني أنَّ الحذف ينشأ عنه

حدوث فراغ بنيوي في الجملة الثَّانية ، وملؤه يعتمد على ما ورد في الجملة السَّابقة أو النَّص السَّابق ، فتكون مرجعية الحذف في هذه الحالة قبلية .

وأكثر مواضع الحذف يكون في النُّصوص دون الجملة المنفصلة ، والذي يعين على ذلك هو أنَّ النَّص بناء يقوم على التَّماسك والاتساق ، وهذان العاملان يساعدان صانع النَّص على الايجاز والاختصار ، وعدم الإطالة بذكر معلومات فائضة .[10]

ولذلك حظيت ظاهرة الحذف باهتمام النحاة والبلاغيين وأهل التَّفسير قديماً وحديثاً ، وقد أوجز عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) فائدة الحذف بكلام كسبيكة الذهب فقال : « هو بابٌ دقيق المسلك ، لطيفُ المأخذ ، عجيبُ الأمر ، شبيه بالسِّحر ، فإنَّك ترى به تركَ الذِّكْرِ أفصح من الذِّكر ، والصَّمتَ عن الإفادة ، أزيدَ للإفادة ، وتجدك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق ، وأتمَّ ما يكون بياناً إذا لم تُبن ... » .[11]

3 . أنواع الحذف :

يأتي الحذف في اللغة العربية على عدة ألوان؛ إذ نجد أنَّها تبدأ بالحركة أو الصوت ثم الحرف ثم الكلمة والعبارة ، وكذلك الجملة وما فوقها ، وهي أنماط لا تخرج عنها تقسيمات علماء النَّحو العربي ، يقول ابن جني : « قد حذفت العرب الجملة والمفرد ، والحرف والحركة ، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه ، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته »[12] ، فالأصل عنده في المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف .

وأمَّا ابن هشام فقد أفرد قسماً خاصاً تحدَّث فيه عن القضايا المتعلقة بالحذف ، وقدَّم فيه بصورة تفصيلية أنماط الحذف كلها ، وهذا ملخصه :

أولا : حذف الاسم ، كما في حذف الاسم المضاف ، والمضاف إليه ، واسمين مضافين ، وثلاثة متضايفات ، والموصول الاسمي ، والصلة ، والموصوف ، والصفة والمعطوف ، والمعطوف عليه ، والمبدل منه ، والمؤكد ، والمبتدأ والخبر ، والحال ...

ولاشكَّ أنَّ في هذه المحذوفات المذكورة من هو اسما أو عبارة أو حتى جملة ، من بين هذه المواضع مثلا الحال ووقوعه جملة وارد ، والقول ينطبق على الخبر والصفة ...

ثانيا : حذف الفعل ، وهو على ضربين : الأول أن تحذفه والفاعل فيه ، والثاني : أن تحذف الفعل وحده .

ثالثا : حذف الحرف أو الأداة ، كما في حذف حرف العطف ، وفاء الجواب وواو الحال ، وقد وما المصدرية ، وما النَّافية ، وكي المصدرية ، وأداة الاستثناء ، ولام التَّوطئة ...

رابعا : حذف الجملة ، نحو : حذف جملة القسم ، وجواب القسم ، وجملة الشَّرط ، وجملة جواب الشَّرط .

خامسا : حذف الكلام بجملته .

سادسا : حذف أكثر من جملة .[13]

أمَّا هاليداي ورقية حسن فقد ذكرا ثلاثة أنواع للحذف هي :

1 - الحذف الاسمي : ويعني حذف اسم داخل المركب الاسمي ، ومثاله : أي مدينة تحب ؟ هذه أحبّ البقاع إلي . أي هذه المدينة .

2 - الحذف الفعلي : ويكون المحذوف عنصراً فعلياً ، ومثاله : هل كنت تلعب ؟ نعم فعلت .

أي : نعم لعبت .

3 - الحذف القولي : هذا النَّوع من الحذف يختلف عن النَّوعين السَّابقين ، فالحذف هنا لا يقتصر على المركب الاسمي أو الفعلي ، وإنَّما يشمل العبارة بما تحويه من أسماء أو أفعال ، ومثاله : كم ثمنه ؟ سبعة دنانير .[14]

وهناك جوانب لها علاقة بهذه الأنماط من الحذف ، مثل : الإحالة والاستبدال وضرورة وجود الدليل ، وهذه هي الموضوعات التَّالية الذّكر على التَّرتيب .

4 . علاقة الحذف بالإحالة :

إنَّ العلاقة بينهما واضحة على حد تعبير صبحي إبراهيم الفقي ، وهي من الجوانب التي تؤكد أهمية الحذف في تحقيق التَّماسك النَّصي نظراً لوجود الدَّليل الذي يسهم في تقدير المحذوف [15] ، « وذلك أنَّ شرط الحذف هو العلم بالمحذوف ، وهذه الكلمة هي الأساس الذي تدور عليه ظاهرة الحذف ؛ لأنَّ الحذف دون توفر القرينة والدَّليل من باب تكليف الغيب والرجم به » [16] ، ووجود القرينة والدَّليل هو بمثابة المرجع والإحالة .

وأحيانا تكون مرجعية الحذف خارجية ، وهذه تعتمد على سياق المقام الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في تفسير المثال ، لكن الحذف المرجعي – خارج النَّص – لا يحقق التَّماسك النَّصي ؛ كونه لا يربط بين وحدات النَّص المختلفة ، فالأماكن التي تتوفر فيها تلك المرجعية تكون على مستوى الجملة الواحدة لا على مستوى الجمل المترابطة .[17]

وقد ذكر هاليداي نماذج كثيرة ، خاصة في الاستفهام ، تظهر أهمية المرجعية في تحقيق التَّماسك بين جملة الاستفهام وجملة الجواب ؛ إذ يوجد في الغالب ، حذف الكثير من العناصر في جملة الجواب ، يدل عليها ما ذكر في جملة الاستفهام .[18]

وعليه ، فإن الاستنتاج الذي نصل إليه هو أن مرجعية الحذف تكون على ضربين :

الأول : مرجعية الحذف السَّابقة أو اللاحقة : وهي النَّوع الذي يكون في الغالب على مستوى الجمل .

الثاني : مرجعية الحذف الخارجية : هو النَّوع الذي يتم على مستوى الجملة المفردة .

والنَّوع الأول يسهم في تحقيق الاتساق النَّصي ، والثاني يغيب فيه هذا الاسهام ؛ لأنَّ الاتساق يتحقق في العلاقات بين الجمل ، وليس في العلاقة بين الجملة وسياقها الخارجي .

5 . علاقة الحذف بالاستبدال :

هي من المسائل التي اهتم بها علماء النَّص ، فقد ذهب هاليداي ورقية حسن إلى أنَّ الحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول استبدالا بالصفر[19] أو الاكتفاء بالمبنى العدمي[20] وهذا يعني : « أنَّ علاقة الاستبدال تترك أثراً ، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال ، بينما علاقة الحذف لا تخلف أثراً ، ولهذا فإنَّ المستبدل يبقى مؤشراً يسترشد به القارئ للبحث عن المفترض ، مما يمكنه من ملء الفراغ الذي

يخلفه الاستبدال ، بينما الأمر على خلاف هذا في الحذف ، إذ لا يحل محل المحذوف أي شيء » [21] ، لكن الاستبدال الذي يعنيه هاليداي ورقية حسن غير الإبدال الذي يعنيه علماء النَّحو العربي .

فالمثال التَّالي : خالد قرأ بعض الروايات ومحمَّد (.....) بعض المجلات .

فالمكان الخالي الذي بين القوسين في الجملة الثَّانية يعد من وجهة نظر هاليداي ورقية حسن صفراً ؛ لأنَّه خال من الكلام ، فهو إذاً يعبر عن الاستبدال الصفري ، ومن ثم فإنَّ هناك إبدال بين " قرأ " في الجملة الأولى والصفر أو المقدر في الجملة الثَّانية ، وفي هذه الحالة تبرز لنا العلاقة الاتساقية بين الجملتين .

لكن المثال نفسه لا يعد في النَّحو العربي استبدالًا ؛ بل يمثل نوعاً من التكرار للفظ الفعل ، وبهذا يكون التكرار هو الذي ساهم في اتساق الجملتين وليس البدل . [22]

ومن الأمثلة التي جاءت في كتب النَّحو العربي ، المثال الذي ذكره المبرد في المقتضب ، وهو قول قيس بن الخطيم :

نَحْـــنُ بِمَـــا عِنْـــدَنَا وَأَنْـــتَ بِمَـــا عِنْـــدَكَ رَاضٍ والـــرَّأْيُ مُخْتَلِـــفٌ

فقد أراد : نحن بما عندنا راضون ، وأنت بما عندك راض . [23]

وهذا يعتبر إبدال من الصفر بتعبير هاليداي ، ونرى أنَّ التَّماسك تحقق عبر عدة جوانب :

1 – تكرار اللفظ نفسه .

2 – الإحالة المتحققة بين الشَّطرين .

3 – وجود دليل على المحذوف .

وبعد هذا يمكن القول إنَّ العلاقة بين الحذف والإبدال ، هي في الحقيقة علاقة بين الحذف والتكرار ؛ لأن هذه النَّماذج العربية والغربية ليست من الإبدال ، وعليه فالإبدال الذي يقصده هاليداي ورقية حسن ، لا يماثل الإبدال التَّابع في النَّحو العربي . [24]

وكل ما تقدَّم يؤكِّد أنَّ للحذف دوراً هاماً في تحقيق الاتساق النَّصي ، وهذا الدَّور يدفع الباحث إلى طرح السؤال التَّالي : كيف يتحقق الاتساق من خلال الحذف ؟ . والإجابة عنه ستكون في العنوان الموالي .

6 . كيفية تحقق الاتساق من خلال الحذف :

المحذوف كالمذكور ، خاصة إذا وجد دليل يدل عليه ، ولذلك أكَّد علماء اللغة القدماء والمحدثين على أهمية وجود الدَّليل ، ففي قول : هل فهم عمر الدَّرس ؟ نعم

يدرك المتلقي أنَّ هناك حذفاً في جملة الجواب ، ويدرك تماماً – لوجود الدَّليل السَّابق – أنَّ الجملة الثَّانية هي : نعم فهم عمر الدَّرس ، ومن ثمَّ إذا عدَّت هذه العناصر المحذوفة كأنَّها مذكورة ، فإنَّه يطبق عليها مثل الذي يطبق على النَّص الكامل العناصر ، وبناءً على ذلك يلاحظ أنَّ الاتساق في تراكيب الحذف يقوم على محورين أساسيين :

المحور الأول : التكرار .

المحور الثَّاني : الإحالة (المرجعية) .

فهناك إذن بيانات أو معلومات نهتدي بها إلى معرفة العناصر المحذوفة ، وتلك هي المهمة ، ثمَّ بعد ذلك يكون البحث عن أثر هذه العناصر في تحقيق الاتساق ، وذلك بملاحظة نوع التكرار ، وأيضاً نوع الإحالة المحققة تبعاً للحذف .[25]

7 . بنية الحذف في سورة هود :

إنَّ المقلِّب لصفحات هود عليه السَّلام ، والمتنقِّل بين آياتها ، والمتتبع لمفرداتها ، يجد أمثلة متعددة للحذف تدعوه لمحاولة إدراك الأمور الثَّانوية التي لم تذكر ، وفي هذا تفاعل واستمرارية بين النَّص والمتلقي .

والنَّص القرآني نصٌّ مفتوح ذو دلالات غير ثابتة ، وعليه يختلف تقدير المحذوف ؛ فقد يقدَّر على أنَّه كلمة أو جملة أو عدة جمل ، وهذا تابع لأفق المتلقي . وتجدر الإشارة في هذا المقام ، إلى أنَّ الحذف ليست أنواعه كلها تسهم مباشرة في تحقيق اتساق النَّص ؛ إذ منها ما يكون بعيداً عن هذه الوظيفة ، مثل قوله تعالى : " وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ "[26] ، فالتَّقدير : جزاء فضله ، لدلالة السياق ، لكن ليس هنا ما يحال إليه المحذوف ، ولا يوجد نمط التكرار ، ولهذا ركَّز البحث على ذكر المواضع التي تسهم في تحقيق الاتساق النَّصي ، وكذلك لن يتم وضع المواضع التي في السورة كلها تحت مجهر التَّحليل النَّصي ؛ لأنَّ في ذلك تكراراً لا طائل من ورائه ؛ بل سيكون التَّركيز على بعضها فقط ، وهي كالتَّالي :

أولا : حذف الاسم : قد توزعت بنية الحذف الاسمي في سورة هود بحسب الجدول الآتي :

رقم الآية	المحذوف	الدَّليل	المرجعية
03	يمتِّعكم (ربَّكم) متاعاً حسناً	ربَّكم	مقالية قبلية
06	و(الله) يعلم مستقرَّها	الله	مقالية قبلية
14	فاعلموا أنَّما أنزل (الكتاب) بعلم الله	كتاب	مقالية قبلية
20	أولئك لم يكونوا معجزين (الله) في الأرض	الله	مقالية بعدية
24	مثل الفريقين كـ (مثل) الأعمى والأصم و(مثل) البصير والسميع	مثل	مقالية قبلية
24	هل (الفريقان) يستويان مثلا	الفريقين	مقالية قبلية
28	قال (نوح) يا قوم	نوحاً	مقالية قبلية
28	فعمِّيت عليكم (البيِّنة) أنلزمكموها	بيِّنةٍ	مقالية قبلية
40	وما آمن معه إلَّا (قوم) قليل	قوم	مقالية قبلية
43	قال (ابن نوح) سآوي إلى جبل	ابنه	مقالية قبلية
50	إلى (قوم) عاد	قوم	مقالية بعدية
50	قال (هود) يا قوم	هوداً	مقالية قبلية
54	اشهدوا أنِّي بريء ممَّا تشركون (بالله)	الله	مقالية قبلية
60	ويوم القيامة (لعنة)	لعنةً	مقالية قبلية

61	إلى (قوم) ثمود	قوم	مقالية بعدية
61	قال (صالح) يا قوم	صالحاً	مقالية قبلية
77	قال (لوط) هذا يوم عصيب	لوطاً	مقالية قبلية
84	إلى (قوم) مدين	قوم	مقالية بعدية
84	قال (شعيب) يا قوم	شعيباً	مقالية قبلية
89	وما (مصاب) قوم لوطٍ	أصاب	مقالية قبلية
100	ذلك من أنباء (قوم) القرى	قوم	مقالية قبلية
120	كلا (نبأ) نقصُّ عليك من أنباء الرُّسل	أنباء	مقالية بعدية
123	ولله غيب السَّماوات و(غيب) الأرض	غيب	مقالية قبلية

الجدول 01 : الحذف الاسمي في سورة هود عليه السَّلام

وبالنَّظر إلى الجدول السَّابق ، نجد أنَّ الدَّليل مقالي في جميع الأمثلة المقدَّمة ؛ إذ يعتمد على اللفظ المذكور في الآيات ، ولهذا السَّبب تحقَّق الاتساق على مستوى السورة ، ولا يشترط في الدَّليل أن يكون قبلياً ؛ لأنَّه ورد في هذه النَّماذج قبلياً وبعدياً ، وعليه تحدَّدت المرجعية فكانت أحياناً قبلية وأخرى بعدية ، وفي حالة ذكر الدَّليل داخل الآية ، فإنَّ المرجعية تكون داخلية ، وهذا يحقِّق التَّماسك بين عناصر النَّص الواحد .

ويلاحظ الباحث في هذه السورة أنَّ الدَّليل لم يقتصر على حدود الآية الواحدة ؛ بل كان بين آيتين متجاورتين كما في (19 ، 20) أو بين آيتين غير متجاورتين كما بين (01 ، 14) .

وفي ضوء هذا التَّحليل يتبين أنَّ الحذف أسهم في اتساق السورة عن طريق دفع التكرار في الكلام ، فقد ترك الفراغ في الآيات ؛ ليملأ من قِبَلِ المتلقي بالاعتماد على ما يمتلكه من وسائل معرفية ، ويمكن القول بأنَّ الحذف تجاوز مرحلة كونه رابطاً شكلياً إلى المرحلة الدَّلالية ؛ فهو يظهر خفايا النَّص ودقائقه ، من خلال تقدير المحذوفات وملء الفراغات في النَّص .

وقد حقَّق الحذف في الأمثلة السَّابقة وظيفة الاقتصاد اللغوي ، من خلال الاستغناء عن بعض الأبنية اكتفاءً بما يدل عليها .

ثانيا : حذف الفعل : يمكن عرض النَّماذج المتصلة بالحذف الفعلي في الجدول الموالي :

رقم الآية	المحذوف	الدَّليل	المرجعية
05	يعلم ما يسرُّون و(يعلم) ما يعلنون	يعلم	مقالية قبلية
06	ويعلم مستقرَّها و(يعلم) مستودعها	يعلم	مقالية قبلية
07	خلق السَّماوات و(خلق) الأرض	خلق	مقالية قبلية
14	فاعلموا أنَّما أُنزلَ بعلم الله و(اعلموا) أن لا إله	اعلموا	مقالية قبلية
44	قيل يا أرض ابلعي ماءك و(قيل) يا سماء	قيل	مقالية قبلية
66	برحمة منَّا و(نجَّيناهم) من خزي يومئذ	نجَّينا	مقالية قبلية

72	وهذا بعلي شيخاً (قالت) إنَّ هذا لشيءٌ عجيب	قالت	مقالية قبلية
89	وما (أصاب) قوم لوطٍ	أصاب	مقالية قبلية
121	اعملوا على مكانتكم (قل) إنَّا عاملون	قل	مقالية قبلية
122	وانتظروا (قل) إنَّا منتظرون	قل	مقالية قبلية

الجدول 02 : الحذف الفعلي في سورة هود عليه السَّلام

والأمر الملاحظ من خلال الجدول السَّابق أنَّ الحذف لم يكن للفعل وحده ؛ بل قد يتعداه إلى حذف الفاعل ؛ لأنَّه من الصَّعب أن نفصل الفعل عن فاعله ، ومن ثمَّ يمكن أن يشترك هذا النَّوع من الحذف مع النوع اللاحق وهو حذف الجملة ، غير أنَّ الذي يميّز هذه النَّماذج من النَّاحية الشَّكلية حذف عنصر الفعل ، مثل : (يعلم ، خلق ، قل) ، بينما حذف الجملة قد يكون جملة كاملة العناصر فعلية أو أسمية ، كما في الآتي :

ثالثا : حذف الجملة : قد وجد هذا النَّوع من الحذف في سورة هود ، وكان له الأثر الكبير في الاتساق الداخلي للسورة ، كما هو ملاحظ في المواضع الآتية :

يقول الله تعالى : " أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ " [27] . فالحذف هنا تقديره : أمركم ؛ أي أمركم ألا تعبدوا إلا الله ، ويهتدى إلى هذا الحذف من خلال ورود جملة ألا تعبدوا متصدرة بداية الآية ، ومن يمعن النَّظر يدرك أنَّ هناك عنصراً محذوفاً في الآية يملأ بتقدير جملة " أمركم " قبل جملة " ألا تعبدوا " .

ومنه قوله تعالى : " أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ " [28] ، والتَّقدير هنا : أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن يريد الحياة الدُّنيا وزينتها ، وليس لهم في الآخرة إلا النَّار ، وحذف الجواب هنا ؛ لظهور ما يدل عليه في النَّص .

وقد تمَّ حذف جواب جملة الاستفهام " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا " [29] وتركت الإجابة لمتلقي النَّص ، ويمكن تقدير المحذوف بـ : لا يوجد أكثر ظلماً ممن يفتري على الله كذباً . وحذف جواب الاستفهام في قوله تعالى : " هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا " [30] ، ويمكن تقدير الإجابة بـ : لا يستويان ، وقد أسهم الحذف في هذين الآيتين في اتساق أكثر من آية ، والدَّليل على ذلك الأحداث السَّابقة .

وقوله : " فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ " [31] ؛ أي : فإن تولوا فلا ملام علي ؛ لأنّي قد أبلغتكم ، أو فلا عذر لكم عند ربّكم .

ومن حذف الجمل أيضاً قوله تعالى : " فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ " [32] ، فالجملة المحذوفة بعد إذ تقديرها : يوم إذ عذَّبهم ربهم إنَّ ربَّك هو القوي العزيز .

وكذلك قوله تعالى : " قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ " [33] ، والتَّقدير : لبطشت بكم . والذي دلَّ على الحذف هو سياق المقال ، فلا بدَّ من إكمال بنية الشَّرط كي يستقيم الكلام ويتم معناه .

ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله : " وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ " [34] ، وقوله : " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ " [35] ، وقوله : " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ " [36] ، والتَّقدير في هذا كلِّه : وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً ، وأرسلنا إلى ثمود اخاهم صالحاً ، وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً ، وقد وظِّف هذا الحذف لوجود دليل سابق عليه في قوله تعالى : " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ " [37] ، وعليه فالمرجعية سابقة ، والدَّليل داخل النَّص ، وهو مقالي ، وبهذا حدث الاتساق بين جميع هذه الآيات .

وقد يكون الدَّليل قبلياً وبعدياً في الوقت نفسه ، كما في قوله تعالى : " وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ " [38] ؛ أي على تقدير : ولا أقول لكم إنّي أعلم الغيب ، فحذف الجملة كان تبعاً للدليل القولي المتمثل في الجملة نفسها ، لفظاً ومعنى ، وذلك في الجملة السَّابقة والجملة التَّالية ، ومن ثمَّ المرجعية نصية مشتركة ؛ فقد تكون قبلية وبعدية .

وإضافة إلى الأمثلة السَّابقة نذكر مثالا آخر عن حذف الاحتباك [*] ، كالذي جاء في قوله تعالى : " أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ " [39] ، فقد أراد : إن افتريته فعليَّ إجرامي وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا بريء ممَّا تجرمون .

ولا شكَّ أنَّ الاتساق النَّصي بين هذين الطَّرفين تحقق لدلالة المذكور في كل جانب على المحذوف في الجانب الآخر .

ونرى أنَّ الاتساق تحقق عبر عدة جوانب :

1 – تكرار اللفظ نفسه بعد إعادة المحذوف .

2 – الإحالة المتحققة بين الطرفين .

3 – وجود دليل على المحذوف .

وعموماً حذف الجملة في التَّحليل السَّابق أسهم بشكل كبير في اتساق النَّص ، فقراءة سورة هود بصورة متأنية تجعل المتلقي يملأ الفراغات من خلال محاولة إيجاد علاقة بين المذكور والمحذوف .

ومن هنا تتجلى أهمية الحذف بأنواعه : (الاسم ، الفعل ، الجملة) ، في تحقيق الاتساق النَّصي لسورة هود سواء على مستوى الآية ، أو على مستوى الآيات .

8 . خاتمة :

في ختام هذا المقال نصل إلى الخلاصة التَّالية : النَّص بنية لغوية ، ومفهوم البنية يعني وجود علاقات متنوعة ومتداخلة بين أجزاء النَّص ، يعبر عنها بالاتساق ، ويجسد ذلك في النَّص بأدوات لغوية عديدة تسمى أدوات الرَّبط ، والتي من بينها أداة الحذف ، وهي توصف بأنَّها بؤرة لإنتاج المعنى ؛ حيث تفسح المجال رحباً للمتلقي لاستكمال تشكيل النَّص ، ولكن شرط الحذف في اللغة أنَّه لا يمكن أن يؤدي دوره في الدلالة والتَّأثير إن لم يدل عليه دليل .

ولمَّا كان النَّص الذي بين أيدينا سورة قرآنية ، فالباحث إذاً لا يحاول أن يثبت أنَّه نصٌ أم لا ، فهذا محسوم سلفاً ؛ بل كانت الغاية من الحذف هنا ، هي بيان وظيفته النَّصية المتمثلة في تحقيق ترابط سورة هود عليه السَّلام ، ويمكن التَّأكيد على ما يلي :

- إنَّ الحذف لا يقل أهمية عن غيره من الأدوات الاتساقية الأخرى ، وذلك لأنَّ المحذوف كالمذكور إذا دلَّ عليه دليل .

- لم يخل التراث اللغوي العربي من المعطيات التي تطرحها اللسانيات النَّصية ، فقد حظيت ظاهرة الحذف باهتمام العرب من خلال حديثهم عن مفاهيم الحذف وأقسامه ، وأغراضه ، وأهمية وجود الدَّليل .

- الحذف في القرآن الكريم هو حذف في التَّركيب اللغوي وليس في المضمون .

- لقد أسهمت أداة الحذف بأنواعها في تحقيق الاتساق النَّصي لسورة هود عليه السَّلام .

9 . قائمة المصادر والمراجع :

* القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم) .

- الكتب العربية :

- جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عناية وتعليق : مصطفى شيخ مصطفى ، ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1429 هـ - 2008 م .

- ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط02 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 هـ - 2002 م .

- صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النَّصي بين النَّظرية والتَّطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ط01 ، دار قباء ، القاهرة ، 1421 هـ - 2000 م .

- صلاح الدين صالح حسنين ، الدلالة والنَّحو ، ط01 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1426 هـ - 2005 م .

- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمَّد رضوان الدَّاية - فايز الدَّاية ، ط01 ، دار الفكر ، دمشق ، 1428 هـ - 2007 م .

- المبرد ، المقتضب ، تحقيق : محمَّد عبد الخالق عضيمة ، ط02 ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، 1399 هـ - 1979 م .

- محمَّد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النَّص ومجال تطبيقه ، ط01 ، الدَّار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 1429 هـ - 2008 م .

- محمَّد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص ، ط01 ، جامعة منوبة ، تونس ، 1421 هـ - 2001 م .

- محمَّد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دط ، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، القاهرة ، 2003 م .

- محمَّد خطابي ، لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ط02 ، المركز الثَّقافي العربي ، الدَّار البيضاء – المغرب ، 1427 هـ - 2006 م .

- ابن منظور ، لسان العرب ، دط ، دار صادر ، بيروت ، دت .

- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ، ط01 ، عالم الكتب الحديث ، عمان – الأردن ، 1429 هـ - 2009 م .

- ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق وتخريج الشَّواهد : مازن المبارك - محمَّد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الأفغاني ، ط01 ، دار الفكر ، دمشق ، 1384 هـ - 1964 م .

- الكتب المترجمة :

- روبرت دي بوجراند ، النَّص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمَّام حسان ، ط01 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1418 هـ - 1998 م .

- الكتب الأجنبية :

- Crystal David , The Cambridge Encyclopedia of Language , Cambridge University Press , Cambridge .
- F.S Alwan - G.L Simon et M. Said , Le Dictionnaire Français – Arabe , Dar AL – Kotob AL- Ilmiyah , Beirut-Lebanon , 2 éme Edition , 2004 .
- N.S.Doniach , The Oxford English- Arabic Dictionary , Oxford university Press , London .

10 . هوامش البحث :

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، دط ، دار صادر، بيروت ، دت ، مادة (حـ ، ذ ، ف) ، ج39/01 ، 40 .

[2] - look : N.S.Doniach , The Oxford English- Arabic Dictionary , Oxford university Press , London , p377 .

[3] - Regarder : F.S Alwan - G.L Simon et M. Said , Le Dictionnaire Français – Arabe , Dar AL – Kotob AL- Ilmiyah , Beirut- Lebanon , 2 éme Edition , 2004 , p306 .

[4] - Crystal David , The Cambridge Encyclopedia of Language , Cambridge University Press , Cambridge , p119 .

[5] - محمَّد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دط ، دار غريب للطباعة والنَّشر والتَّوزيع ، القاهرة ، 2003 م ، ص 259 .

[6] - ينظر: محمَّد الأخضر الصبيحي ، مدخل إلى علم النَّص ومجال تطبيقه ، ط01 ، الدَّار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، 1429 هـ - 2008 م ، ص 93 .

[7] - روبرت دي بوجراند ، النَّص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمَّام حسان ، ط01 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1418 هـ - 1998 م ، ص 301 ، 340 .

[8] - محمَّد خطابي ، لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ط02 ، المركز الثَّقافي العربي ، الدَّار البيضاء – المغرب ، 1427 هـ - 2006 م ، ص 21 .

[9] - نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النَّص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية) ، ط01 ، عالم الكتب الحديث ، عمان – الأردن ، 1429 هـ - 2009 م ، ص 106 ، 107 .

[10] - ينظر: صلاح الدين صالح حسنين ، الدلالة والنَّحو ، ط01 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1426 هـ - 2005 م ، ص 253 .

[11] - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمَّد رضوان الدَّاية - فايز الدَّاية ، ط01 ، دار الفكر ، دمشق ، 1428 هـ - 2007 م ، ص 170 .

[12] - ابن جني ، الخصائص ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط02 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 هـ - 2002 م ، ج140/02 .

[13] - ينظر: ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق وتخريج الشَّواهد : مازن المبارك - محمَّد علي حمد الله ، راجعه : سعيد الأفغاني ، ط01 ، دار الفكر، دمشق ، 1384 هـ - 1964 م ، ج688/02 – 724 .

[14] - ينظر: محمَّد خطابي ، لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 22 .

[15] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النَّصي بين النَّظرية والتَّطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ط01 ، دار قباء ، القاهرة ، 1421 هـ - 2000 م ، ج201/02 .

[16] - محمَّد الشاوش ، أصول تحليل الخطاب في النَّظرية النَّحوية العربية تأسيس نحو النص ، ط01 ، جامعة منوبة ، تونس ، 1421 هـ - 2001 م ، ج1148/02 .

[17] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النَّصي بين النَّظرية والتَّطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ج201/02 .

[18] - ينظر: المرجع السابق ، ج202/02 .

[19] - ينظر: محمَّد خطابي ، لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 21 .

[20] - ينظر: روبرت دي بوجراند ، النَّص والخطاب والإجراء ، ص 340 .

[21] - محمَّد خطابي ، لسانيات النَّص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 21 .

[22] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النَّصي بين النَّظرية والتَّطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ج199/02 .

[23] - ينظر: المبرد ، المقتضب ، تحقيق : محمَّد عبد الخالق عضيمة ، ط02 ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، 1399 هـ - 1979 م ، ج73/04 .

[24] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النَّصي بين النَّظرية والتَّطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ج200/02 ، 201 .

[25] - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النَّصي بين النَّظرية والتَّطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، ج221/02 .

[26] - سورة هود ، الآية (03) .

[27] - سورة هود ، الآية (02) .

[28] - سورة هود ، الآية (17) .

[29] - سورة هود ، الآية (18) .

[30] - سورة هود ، الآية (24) .

[31] - سورة هود ، الآية (57) .

[32] - سورة هود ، الآية (66) .

[33] - سورة هود ، الآية (80) .

[34] - سورة هود ، الآية (50) .

[35] - سورة هود ، الآية (61) .

[36] - سورة هود ، الآية (84) .

[37] - سورة هود ، الآية (25) .

[38] - سورة هود ، الآية (31) .

[*] - حذف الاحتباك يقصد به : « أن يحذف من الأوَّل ما أثبت نظيره في الثَّاني ، ومن الثَّاني ما أثبت نظيره في الأوَّل » . جلال الدين السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عناية وتعليق : مصطفى شيخ مصطفى ، ط01 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، 1429 هـ - 2008 م ، ص 542 .

[39] - سورة هود ، الآية (35) .